صاحب الجلالة يقيم مأدبة عشاء
على شرف فخامة الرئيس البرتغالي

أقام صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، محفوفا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد يوم 17 محرم 1419هـ موافق 14 ماي 1998م، حفل عشاء تكريما لفخامة الرئيس البرتغالي السيد جورج سامبايو الذي قام بزيارة رسمية لبلادنا.

وبهذه المناسبة ألقى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني الكلمة السامية التالية:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه،

فخامة السيد رئيس الجمهورية البرتغالية،

أصحاب المعالي،

سادتي سيداتي،

بكامل الابتهاج والغبطة نستقبلكم فخامة الرئيس، السيد جورج سامبايو، معربين لكم عن ترحيبنا ومشاعر تقديرنا وعما نكنه للشعب البرتغالي من تقدير واعتبار بوصفه شعبا عريقا في التاريخ مساهما في الحضارة الإنسانية بحظ غير قليل.

إن زيارة المسؤولين البرتغاليين للمغرب في السنوات الأخيرة لم تكن مجرد حدث عابر يندرج في إطار التشريفات والمجاملات، وإنما هي أكثر من ذلك، كما يتأكد ذلك من خلال زيارتكم اليوم، هذه الزيارة التي تأتي في سياق متميز لعدة اعتبارات.

ولا بد لي في البداية من التنويه بالنجاح الذي حققه بلدكم الذي أمكنه

في أقل من ربع قرن أن يوفق بين إنجاز تحول ديمقراطي رصين بدون ارتباك أو تردد وبين إقلاع اجتماعي واقتصادي مثير للإعجاب يوحي لكل الملاحظين بأن البرتغال ستتبوأ مكانة مرموقة في مطلع الألف المقبلة بين دول الاتحاد الأوربي.

أجل، إنه بهذا الإنجاز قد تلاشت الصورة التي كانت تبدو من خلالها البرتغال حتى ستينيات هذا القرن وكأنها أمة منزوعة بماضيها المجيد وتعيش على هامش العصرنة، لتحل محلها صورة تفرض فيها البرتغال وجودها باعتبارها من البلدان الأوروبية المجلية في مضمار التنمية والتقدم.

وهذا ما تؤكده كل المعايير المصطلح عليها في هذا المجال فنسبة النمو التي تصل إلى 4 في المائة المتوقعة هذه السنة والنسبة التي لا تزيد على 7 في المائة في البطالة ونسبة التضخم التي لا تتعدى 2 في المائة، كلها مؤشرات بأن البرتغال ستلج القرن المقبل بتألق.

فخامة الرئيس،

إن البرتغاليين الذين أبحروا في أعالي المحيطات واكتسبوا ثقافة جغرافية بحرية رائدة وأتقنوا فنون الملاحة بناء السفن العابرة للمحيطات واكتشف الملاحون العظام منهم أمثال هنري الملاح وفاسكو دي جاما، شواطئ إفريقيا الشرقية والجنوبية عبر رأس الرجاء الصالح، ووصلوا إلى شواطئ الهند الشرقية والغربية وإلى البرازيل، لم يتأت لهم ذلك لولا إرادة صلبة وطموح كبير وتقنيات عالية. وقد اكتسبوا من غير شك إلى جانب هذه المؤهلات الذاتية ثقافة العالم القديم وحضارة العالم الوسيط.

وإن المعرض العالمي لعاصمة بلدكم لشبونة سيزخر، كما أعتقد ذلك، بإظهار تلك المؤهلات المدهشة والإرادة الجماعية لشعبكم ولما حققه من إنجازات بفضل سياسة قادته المحنكين.

وهكذا سيؤكد البرتغال للعالم بأن (السويداد) هذا اللامحدود من روح الاندفاع والمغامرة في خضم البحر والحنين الى أعماقها والانطواء الذاتي مما كان يطبع نفسية البرتغاليين، كل ذلك قد ترك مكانه اليوم للطموح والشموخ والعمل الدؤوب من أجل تحقيق بعد حضاري جديد لشعبكم على عتبة القرن المقبل.

فخامة الرئيس،

لقد استحضرت في مستهل هذا الخطاب السياق المتميز لالتئامنا هذا المساء بالنسبة للبرتغال. أما بالنسبة لنا في المغرب، فإن علاقتنا الثنائية قد عرفت وثبة نوعية منذ زيارة الدولة التي قمنا بها لبلدكم في شتنبر 1993. فقد تكون لدينا شعور يومئذ بأنه بإمكاننا تحقيق أفضل مثال للتعاون بين بلدين جارين، وهو ما أكدته السنوات الخمس الأخيرة.

وإن معاهدة الصداقة التي وقعناها سنة 1994 لتعتبر بمثابة العمود الفقري والأساس المرجعي لكل ما جاء بعدها من لقاءات مكثفة ومستمرة لرؤساء حكومتي البلدين ولكل الاجتماعات التي قامت بها اللجان المتخصصة.

وكم نحن سعداء أن نلاحظ أن لا يمضي شهر أو شهران بدون أن يقوم وزير مغربي بزيارة عمل للبرتغال أو يستقبل وزير من الحكومة البرتغالية بالرباط. فهذه اللقاءات المنتظمة تشكل إطارا رفيعا لجعل تعاوننا الاقتصادي والتجاري ينمو ويتنوع. لكن يبقى مع ذلك أن ميزاننا التجاري ما يزال بالنسبة للمغرب غير متوازن وإن كنا نسجل أنه خلال السنوات الخمس الأخيرة قد عرفت مبادلاتنا نموا بنسبة 100 بالمائة وأن هذا النمو له دلالته الكمية والنوعية.

إن هذا التطور الملحوظ -فخامة الرئيس- قد تقوى بفضل المنحى

الإيجابي الذي أخذته الاستثمارات البرتغالية بالمغرب وقد لاحظتم من غير شك خلال زيارتكم هاته، أن المقاولات البرتغالية قد حققت خلال الأشهر الأخيرة حضورا ملحوظا. بيد أنه يتعين علينا أن نستثمر على أفضل وجه ممكن التوافق السياسي والتعاون الاقتصادي والتجاري داخل مجالنا الإقليمي وندعم كل مبادراته حتى نتدارك المسافة الفاصلة بين واقع هذا التعاون وبين ما نطمح إليه بالنظر إلى ما نتوفر عليه جميعا من إمكانات وطاقات وإرادة ثابتة، لاسيما ونحن نتقاسم ميراثا ثقافيا وتراثيا لم تنل منه تقلبات الدهر. إنه تراث شعبين ظل وجدان كل منهما تجاه الآخر حيا بفعل ذاكرة مشتركة خالية من الأحكام المسبقة ومن عقد الاستعلاء أو الإحباط.

فخامة الرئيس،

منذ أكثر من شهر تقريبا تأهلت البرتغال ضمن مجموعة البلدان الأوروبية الإحدى عشرة القابلة للتعامل بالأورو. وهو تأهيل كما لاحظت ينطوي على مؤشرات أكثر إيجابية مما لعدد من الدول الأخرى الأكثر تصنيعا في الاتحاد الأوروبي، وهذا يعني مدى الأهمية التي يعيرونها لتعزيز هذا الاتحاد والمؤهلات التي تتوفرون عليها من أجله. ومن جهة أخرى، فإننا واثقون تماما بكون البرتغال لم يغض الطرف ولم يتجاهل في أية لحظة في سياق الحضور داخل الاتحاد الأوروبي، ما ينبغي عمله تجاه المغرب أو تجاه دول جنوبي المتوسط. نعم، نعلم مدى المسافة التي يجب اجتيازها لتحقيق تعاون أوسع مع الاتحاد الأوروبي ولكننا نملك نفس الاقتناع بأنه لا سبيل لنا إلا المضي قدما في تحقيق ذلك.

إن جوارنا داخل منطقة ذات أهمية استراتيجية وجيوسياسية بالغة الأهمية بالنسبة للأمن المتوسطي يملي علينا معا نفس المسؤولية كما يملأ

نفوسنا بنفس الانشغالات. وقد اقتنعنا منذ البداية بأنه لا يمكن قيام أوربا مغلقة على نفسها أو أوربا بدون فضاءات للتعاون ولا للانفتاح على الجيران المباشرين، الأمر الذي أكده إعلان برشلونة سنة 1995 ووضعت مبادئه وقواعده قمة لشبونة إثر ذلك. وهكذا يبدو أنه لا خيار أمامنا إلا بناء شراكة مبدعة وصادقة بين دول شطئ البحر الأبيض المتوسط تحترم هويات ومصالح الجميع.

كما أننا نعلم أنه مهما تكن المؤهلات التي لكل منا والميولات المختلفة، فإن نشدان الاتحاد الأوربي لأي رخاء مستقر ومستمر في أوربا لا يمكن أن يتحقق مع بقاء شطر الجنوب المتوسطي هش البنيات منزويا عن الشمال محكوما بالظرفيات المتقلبة والضروريات ذات المدى المحدود.

ومن ناحية أخرى، فإن منطقتنا تخيم عليها شكوك وتهديدات أكثر خطورة وأدعى للانشغال فيما يتعلق بمسلسل السلام في الشرق الأوسط. فبلدانا معا -فخامة الرئيس- يعملان من أجل أن تنعم منطقة المتوسط بالسلم. غير أن القرارات رقم 242 و 338 وكذا الاتفاق المبرمة في كل من مدريد وأوسلو وواشنطن التي أقرت مبدأ الأرض مقابل السلام، والتي ألقت على الحكومة الإسرائيلية تبعات تنفيذها، نراها اليوم وقد وقع التنكر لها من جانب تلك الحكومة. وهو تنكر لا يمكن قبوله. وعلى الأسرة الدولية اتخاذ ماينبغي لانقاذ هذا المسلسل. فالإسرائيليون والفلسطينيون واليهود والمسلمون ليس أمامهم سوى التعايش والتعاون والاحترام المتبادل. وهذا هو القدر المقدور للمنطقة بحكم سنن التاريخ وهو ما تمليه الأديان السماوية نفسها. وعلى الحكومة الإسرائيلية أن تتذكر هذه الحقيقة التاريخية والدينية قبل فوات الأوان وتأزم الأوضاع بكيفية مأساوية.

فخامة الرئيس،

أصحاب المعالي،

سادتي سيداتي،

إن مجال الثقافة توجهاتنا وتعاونا لفسيح ومديد. وهو أيضا مجال للتعبير عن عبقرية بلدينا وشعبينا على السواء بالنظر إلى إمكاناتهما ثراء وحضارة. وفي هذا السياق أود أن أختم خطابي باقتباس من الكاتب والشاعر البرتغالي الكبير فرناندو بيسوا الذي قال مرة: «إن جميع الشعوب لها عبقرياتها وكل أمة لها في حد ذاتها سرها الخفي الذي يحركها». وأنا أضيف إلى هذه الكلمة الرامزة إلى الهوية الوطنية بعدا تكميليا، وهو أن عبقرية كل من الشعبين المغربي والبرتغالي تكمن في أن كل منهما يدرك بصورة تلقائية كيف يحافظ على وجوده حضاريا عن طريق قدرته على استعادة وعيه بذاته واحترام تقاليده والاهتداء الفطري إلى ما يجب عمله كلما اقتضت المرحلة التاريخية ذلك.

ومن أجل الرخاء لكل من بلدينا ومن أجل سعادتكم الشخصية فخامة الرئيس. ومن أجل تجديد عبارات الترحيب بكم وبأعضاء الوفد المرافق لكم، أطلب من الجميع الوقوف احتراما لشخصكم معبرا عن كامل غبطتي وسعادتي مرة أخرى باستقبالكم في المغرب.

عاش البرتغال - عاش المغرب.